الصناعات في سوريا ولبنان

(٢)

(٥) تربية دود القز

يلي الحبوب شجر التوت الذي يزرع بكثرة في السهول كما في الجبال من صور الى الاسكندرونة . ويغلب ان هذه الشجرة كانت موجودة دائماً في بلادنا فاوراقها تصلح طعاماً للحيوانات ويرجع انتشار زراعتها بكثرة الى القرن السادس عند ما كانوا يستجلبون دود القز من الصين عن طريق البوسفور ومن ذلك الوقت وشجر التوت يستعمل خاصة لتغذية دود القز

وتقطف اوراق التوت في الربيع ويتغذى بها الدود مدة ٣٦ يوماً ويكثر وجود شجر التوت حيث تؤسس صناعة الحرير فالهكتار وفيه ١٤٠٠ شجرة تقريباً ينتج ١٠٠٠٠ كيلو جرام من ورق التوت في موسم التوريق . وفي سوريا نحو ٢٠٠٠٠ هكتار تقريباً مزروعة توتاً

يربى دود القز في الجبال والسهول على اطباق من الصفصاف غالباً داخل المنازل او في ملاجىء بسيطة من فروع الشجر ومدة التربية تنقسم الى خمس « فطرات » منفصل كل منها عن الاخرى بفترة صيام وطول المدة كلها ستة وثلاثون يوماً . اما مدة تكوين الشرنقة فثمانية ايام ثم ترسل الشرنقة الى المعمل لخنقها وحل خيوطها

واوقية دود القز الصغير وزنها ٢٥ جراماً وثمنها قبل الحرب ١٠ فرنكات ويبلغ ما يتولد منها نحو ١٥٠٠٠٠ دودة على المتوسط تكون تقريباً ٢٥ كيلوجراماً من الشرانق الحية اما في فرنسا فتعطي اربعين كيلو جراماً تقريباً

ومتوسط ما قدم للتربية من الدود الصغير كل سنة بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩١٠ هو نحو ٢٥٠٠٠٠ اوقية ثلاثة ارباعها من فرنسا و٢٥٠٠٠ من بروصه وايطاليا و٦٥٠٠٠ من تربية اهالي سوريا

ويباع جزء من الشرانق للمنازل المنشأة في البلاد ويصدر جزء آخر الى فرنسا ومنذ سنين قريبة زاد الصادر نظراً لانخفاض ثمن الحرير عما اضطر كثيراً من المعامل الاهلية الى التوقف عن العمل ففي سنة ١٩١٠ بلغ وزن ما انتج من الشرانق

٦ ١٠٠ ٠٠٠ كيلو جرام مما تقدر قيمتهُ القصوى بمبلغ ٢٠ مليون فرنك بينما لم يكن المحصول في سنة ١٨٦١ الاّ ٩٦٠ ٠٠٠ كيلو جرام

(٦) صناعة القزل

منذ ادخل البيزانطيون دود القز الى سوريا اخذت صناعة الحرير تمتد وبلغت اوجها في القرن السابع تحت حكم خلفاء بني امية وبني العباس فكانت بلادنا تصدر الحرير الى اسبانيا ثم بعد ذلك الى فرنسا

وفي ذاك العهد كانوا يخنقون الشرانق بقوة حرارة الشمس ويحلون خيوطها بعد ذلك على عجلات (دواليب) قديمة فكانت خيوط الحرير تلتف متلاصقة فوق محيط العجلة بلا رابط او اتصال مكونة خيوطاً متقطعة مشمئة يعسر فصلها بعضها عن بعض

وظلت الحالة كذلك حتى سنة ١٨٣٦ اذ انشىء في بيروت اول معمل لحل الحرير على طراز معامل اوربا في ذلك الوقت والفضل راجع في ذلك الى اثنين من رجال القرنسيس هما الكونت دي لافرنّي والكونت دي لمونت

وكانت آلات هذه المغازل مؤلفة من عشر عجلات وعشر خلاقين وكانت مواقد كل منها تحمى بالحطب ومن ذاك العهد اخذت طرق الصناعة الحديثة تمتد في سوريا واخذ الطرق يحل نهائياً محل الدولاب العربي

وادخلت بعد ذلك تحسينات على هذا الطراز الحديث من المغازل فحل البخار محل الماء الحار في الخلاقين والمحركات اليدوية وقام بخنق الشرانق بدلاً من حرارة الشمس . وهناك تحسينات اخرى ادخلت في اوربا سواء على حل خيوط الشرنقة او خنقها . وهذا التقدم زاد في نتاج المغازل فبدلاً من استعمال بخار المياه لخنق الشرانق يستعمل الهواء الساخن وفائدتهُ انهُ يوفر عملية التجفيف التي كانت تستلزم مساحات كبيرة من القرش ويحفظ لون الشرانق الطبيعي ولمعانها ويدفع عنها خطر العطن

ومما يؤسف لهُ ان المغازل السورية لم تنهج على منوال مغازل اوربا في هذا التقدم الاخير وانها تركت نفسها متقصرة في هذا المضمار حتى ان الكثيرين كفوا عن هذه الصناعة نظراً لعجزهم عن التضال مع البلاد الاجنبية حتى اضطروا

فيما بعد ان يرسلوا الشرانق اليها . وليس في لبنان كله الآن الاّ معمل الارملة جيران في بلدة « القريّة » وهو الوحيد المنشأ على الطراز الحديث

ومعدل الربح الصافي في المغازل السورية يساوي ١٢٫٥ ٪ من رأس المال او ما يعادل خمسة فرنكات ونصف في كل كيلو جرام من الحرير الخام . وهذا الحساب مبني على ان ما تنتجهُ ١١٣ كيلو جرام من الشرانق هو كيلو جرام واحد من الحرير الخام . وفي الامكان زيادة هذا الربح حتى يصل الى ٨ فرنكات في الكيلو جرام من الحرير وذلك بزيادة الاهتمام بزراعة التوت والتنقية وحزم ارساليات بزر الدود وتربية دود القز واتقان آلات فرد الخيوط فيزداد رخاء البلاد ازدياداً محسوساً

كان يعمل في سوريا قبل سنة ١٩١٤ نحو ٢٠٠ مغزل منها ١٥٠ تقريباً في لبنان يعمل فيها نحو ١٥٠٠٠ من العمال والعاملات وكانت كمية الحرير المستخرجة (في سنة ١٩١٠) ٥٢٧٠٠٠ كيلو جرام تقدر بمبلغ ٢٦ مليون فرنك ذلك لان متوسط اسعار الحرير (من الدرجة الاولى والثانية) الذي كان يستعمل في مدينة ليون بين سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩١٠ يتراوح بين ٣٩ و٥٤ فرنكاً في الكيلو جرام. ولان اغلب الحرير المستخرج صدر الى مدينة ليون اذ لم يبلغ مقدار الشرانق الحريرية التي ارسلت في نفس تلك السنة الى فرنسا سوى ٤٨٠٠٠ ك . ج فقط مع ان ما انتجتهُ البلاد منها كان ٦١٠٠٠٠٠ ك . ج

اما اليوم فقد هبط المحصول الى ١٣٠٠٠٠٠ ك . ج من الشرانق ولهذا فقد توقف عن العمل نحو ثلثي المغازل ولهذا ايضاً قل ما يصدر من الحرير الى فرنسا واغلب محصول الحرير يبقى الآن في سوريا ويرسل الى دمشق وحمص وحماة وحلب . وسبب قلة المحصول هو سقوط سعر الحرير واندثار زراعة شجر التوت اثناء الحرب وقلة الايدي العاملة بسبب كثرة الوفيات في تلك الايام القاسية وايضاً تضاعف اجور العمال بعد الحرب فصناعة الحرير تسير سيراً حثيثاً الى الانحلال والزوال . ولايقاف هذا التيار الجارف يجب الاهتمام باعادة هذه الصناعة على الاقل الى حالتها العادية قبل الحرب وذلك باستئصال شأفة الاسباب التي ادت الى اندثارها بتحسين طرق تربية دود القز وحل خيوط الشرانق كما اوضحناهُ سابقاً

ومن اللازم تقديم التسهيلات لرجال الصناعة الاختصاصيين ومدهم بالاموال

بارباح معتدلة فعلى الحكومة ان تتقدم في ذلك لمعاونة المربين والغزالين وذلك بما يأتي : —

(اولاً) الاتفاق مع الشركات المالية لاقراضهم الاموال في مقابل ضمانات وبذلك يتخلص رجال الصناعة من الطلبات الباهظة التي يثقل بها عليهم الوسطاء بينهم وبين المستهلكين في ليون او غيرها فاولئك السماسرة كان من دأبهم ان يستغرقوا جزءاً عظيماً من الارباح

(ثانياً) السماح للغزالين والمربين بتأليف نقابة غرضها السعي في توزيع حاصلاتهم اما في سوريا او في الخارج لتعود باحسن كسب ولذلك يتحتم ان يقيم عضو من اعضاء النقابة بصفة مستديمة في ليون ليديم اتصال هيئة النقابة في سوريا بمجرى السوق وتقلب اسعار الحرير او الشرانق

(ثالثاً) ارسال عدد من الطلبة الى فرنسا لتلقي اصول الصناعة في معاهد تربية الدود والمغازل اذ يستطيع هؤلاء الطلبة لدى عودتهم الى البلاد ان ينشروا بين مواطنيهم المعلومات التي اغترفوها من تلك المعاهد والمغازل الفرنسية

(رابعاً) انشاء عدد من المغازل الحديثة كنماذج في البلاد يكلف الاختصاصيون والمزارعون زيارتها كثيراً ذلك لكي يكونوا على بينة من مجرى التقدم الخارجي الذي تسير فيه صناعة الغزل وذلك يدعوهم ايضاً ان يدأبوا على اتقان ما عندهم طبقاً لما يعاينونه اثناء زياراتهم . ولن تخسر البلاد السورية بذلك شيئاً اذ هما قليل تجنى الثمار وتتمكن في غوذجات مغازلها المنشأة على انقاض المغازل المهجورة من ان تغزل خيوط الشرانق الحريرية التي تجمعها من المربين بصفة ضريبة ويمكن ان توزع الارباح الناتجة كل سنة بصفة مكافآت لافضل المربيين وامهر الغزالين . ونذكر هنا انهُ بينما كان الحرير في جميع الولايات مثقلاً بضريبة العشر البالغة نحو ١٠ الى ١٢ ٪ كان لبنان وحدهُ معفى من هذه الضريبة

وقبل ختام بحثنا نرى ان نورد بعض الاقتراحات الشبيهة بالرسمية التي عرضت حديثاً على المراجع العليا لمعالجة الحالة المزعزعة التي وصلت اليها اليوم صناعة الحرير في سوريا وعدم احتمال وجود الدواء الناجع لتحسين حالتها العمومية لتقف موقف المقاومة الرابحة بازاء الحرير الياباني

وهذه الاقتراحات تقضي بترك صناعة الحرير اصلا في لبنان وجميع مقاطعات

سوريا مما يقضي بانتزاع شجر التوت من منبته واستبداله باشجار الفاكهة. وقبل الاشارة الى اي حل قاطع للمسألة يجدر بنا ان نبحث في منافع ومضار كل من هاتين الصناعتين وان لا نسارع في الحكم على المستقبل مستندين الى وقائع لم تكن الا عرضية يسهل علاجها

ولا يفوتنا كما مرّ بنا في هذا البحث انهُ بين سوريا دخلت صناعة الحرير الى اوربا وان هذه الصناعة تمارس عندنا منذ القرن السابع فطبيعة ونوع الشرانق الحريرية السورية تؤهلها لان تقوم مقام الشرانق الفرنسة وان تنتج افضل حرير في العالم — ميزتان يعجز عن منافستها فيهما الحرير الياباني . ومعلوم ان قطن الوجه البحري المصري لا يقوم مقامهُ اي محصول آخر مماثل من اية قارة في صنع المنسوجات الحريرية المقلدة كما ان بعض المنسوجات الحريرية في ليون لا يمكن ان تصنع الاّ اذا اندمجت مع الحرير الفرنسي او السوري وحدهما. اذن ليس ثمت من داع الى القلق في تخوفنا من منافسة الحرير المصنوع في اليابان . وعليهِ فاذا كان هناك حاجة الى علاج في مسألة صناعة الحرير في سوريا فالبدار الى تنفيذهِ لا لهدم كيان الصناعة بالمعاول بل لتوطيد اركان حياتها . واذا اردنا انشاء صناعة الفاكهة بدلاً من الحرير نواجه خطراً حقيقياً هو خطر المنافسة الاجنبية وهناك مصائب اخرى ملازمة لزراعة اشجار الفاكهة كما هو معروف

قد يكون من المقبول عقلاً انهُ بينما تنقص في الحقول زراعة التوت تدريجياً تحل محلهُ زراعة الخضار وزراعة البرتقال وايضاً بعض اشجار الفواكه الاخرى بما يلائم طقس المنطقة وتربة الارض الاّ ان الامر يكون خطيراً اذا كان بدلاً من هذا النقص التدريجي يوضع نظام قاطع مع غير سابق استعداد او تجربة يقضي باعدام زراعة التوت دفعة واحدة . وليس من يجهل ان الفاكهة في دمشق كثيرة جداً وتباع اليوم باسعار بخسة مع الغلاء الحالي فما الذي يتأتى اذا انقلبت سوريا باسرها حديقة فاكهة . فان الفاكهة تصبح بخسة رخيصة حتى يتعذر تصديرها للخارج ضرباً من العبث فيضطر فلاحونا لطرحها اكواماً في المدارد لاطعام حيوانهم كما يصنع مزارعو البرتقال في شمال فرنسا . وقد بحر في درس تربية الحرير في سوريا المرحوم سليم بك اصفر المهندس الزراعي الشهير وعنى عنها كتاباً باللغة العربية كما كتب عن صناعة الحرير حضرة المسيو ألبر نقاش المهندس المعروف ويجد

الاختصاصيون وغيرهم في هذه الكتب تفاصيل ومذكرات واقية ومفيدة جداً

(٧) صناعة المنسوجات الحريرية

ذكرنا سابقاً انهُ قبل الحرب كان الجزء الاكبر من الحرير يصدر الى فرنسا ومقدار صغير منهُ يبقى في البلاد ليستعمل في معامل النسيج

واليوم قد زال الصادر منهُ بالمرة لانخفاض اسعار الحرير في اسواق اوربا فكل الحرير الذي تنتجهُ مغازل سوريا في الواقع تستهلكهُ البلاد بنفسها. والفرصة جيدة يجدر انتهازها لتشجيع الاختصاصيين حتى يعملوا على ترويج صنع الانسجة الحريرية التي كان لها قبلها سابقاً شأو رفيع. فقد كان الاقبال على هذه الاقمشة عظيماً نظراً الى متانتها وجمال الوانها واليوم تعرف في الاسواق تحت اسماء مختلفة هي صرّي وقطني والاجا وتستعمل في صنع الملبوسات وزينة الفرش في الاناضول والروملي الشرقي ومصر ومراكش. وهي اما مقلمة او معرّقة او ساده او موشاة بالخيوط الذهبية والفضية وكان سابقاً ما يقرب من ٤٠٠٠٠ نول لنسج الحرير في دمشق وحلب وحمص وطرابلس ودير القمر والزوق وبيروت اما اليوم فلم يبق منها الاّ ٦٠٠٠ نول تقريباً

فاذا كانت هذه الصناعة لم تعد بعد زاهرة كما كانت في الماضي فذلك راجع اولاً الى العشور الثقيلة المفروضة على المصنوعات الوطنية ثم الى منافسة الاقمشة الحريرية الاجنبية التي ترد الينا وتفرق اسواقنا برخص اثمانها وقلة الضريبة المفروضة عليها في الجمارك (١١٪ فقط) فضلاً عن العشور الداخلية

والانوال المستعملة الآن من طراز قديم مصنوعة من خشب تحركات يدوية افقية على الطريقة العربية القديمة تحمّل الحائك مشقة كبيرة. وهناك غير ذلك بعض المصانع الحديثة على طراز جاكارد منها عشرون في دمشق انتاجها ضئيل لانهُ ينقصها الاذكياء المقتدرون من رؤساء العمال لادارتها وعشرة اخرى في بيروت في مدرسة ملجأ الايتام الفنية للقديس يوسف يلزمها اصلاح في دواليبها حتى يزداد انتاجها

ومما يؤسف لهُ ان تشل حركة مثل هذه الصناعة لقلة العمال الفنيين فالحاجة ماسة الى انشاء مدرسة صناعية تخرج لنا شباناً خبيرين في كل فرع من فروع صناعاتنا. ولقد شعر الاتراك سابقاً بهذه الحالة فانشأوا في رأس بيروت مدرسة

للفنون والصنائع ومنذ عامين انشئت باشارة المندوب السامي في بيروت مدرسة للمهندسين على نظام مدرسة ليون ووضعت تحت ادارة كلية القديس يوسف

انها حركة مباركة تستحق الثناء لان البلاد في احتياج الى فنيين لتخطيط طرقها وسككها الحديدية وانشاء كباريها ومعابرها والاحتفاظ بمياهها وحفر الترع فيها . ولكن متى علمنا فوق ذلك ان الصناعات في بلادنا تتطلب اناساً اختصاصيين ليديروا آلاتها ويصلحوها ويتقنوها بقصد تخليصها من موت محقق يرى ان من المستحسن ان تحول مدرسة المهندسين الى مدرسة صناعية تحوي فرعين منفصلين الاول منهما يخصص لتربية تلامذة مقتدرين يصلحون عمالاً او مساعدي رؤساء عمال في معامل مختلف صناعاتنا . والثاني منهما يلقن فيه متخرجو القسم الاول وغيرهم من الخارج من حملة شهادة اللياقة تعليماً عالياً يؤهلهم بعد الامتحان النهائي للقب مهندس . وهذه المدرسة ستصبح بفضل ادارة المسيو أودينو كرئيس مجدّ ومختبر منبعاً خصباً يمد كل مقاطعات سوريا بالموظفين الفنيين

وعلاوة على ذلك فهذا هو نفس البرنامج الذي تسير عليه الجامعة الاميركية في بيروت في التعليم الفني فقد انشأت مدرسة للهندسة في بيروت . وانشأ المرسلون الاميركيون في صيدا مدرسة صناعية في قرية الميومية في ضواحي المدينة . وستفيد هذه المدارس ايضاً واقياً من الدمار لصناعاتنا التي هي في حاجة الى ما يشجعها ويحميها لتنهض وتتبوأ محلها الاعلى الذي كان لها سابقاً في العالم

والوسيلة الاخرى من وسائل حماية حاصلاتنا الصناعية هي ان تقوم الحكومة بلا ابطاء بوضع تعريفة تحدد بمقتضاها أسعار الواردات بدلاً من الضريبة الجمركية ١١ . وهذا موضوع لا يتم الاّ بموافقة الدول العظمى

ثم ان الاتفاق الجمركي الاخير بين فلسطين وسوريا يقضي بفرض ضريبة على كل ما يدخل فلسطين من المصنوعات السورية التي يدخل في صنعها كليًّا او جزئيًّا مواد اجنبية . فهذه الضريبة مضرة بالمنسوجات الحريرية والقطنية التي ترسل سنويًّا الى فلسطين بمقادير عظيمة . وبناء على ما تفرضهُ هذه الضريبة الجديدة على الصادرات ترى التجار في دمشق مضطرين الى رفع اسعار المنسوجات ثم يعجزون عن تصديرها الى فلسطين اذ تحل محلها هناك المصنوعات الاجنبية المماثلة . فيخشى من كل هذا ان يزداد نقص صناعة المنسوجات علاوة على ما حل

بها الى الآن من الاندثار بل يخشى ان يضطر اصحاب الصناعات في دمشق الى المهاجرة وتقل معائنهم معهم . فلا بدّ من معالجة هذه الضربة الحركية لتخليص الصناعات السورية المهمة من الدمار

وعدا ذلك فعلى سكان مقاطعات سوريا المختلفة ان يقوموا من تلقاء انفسهم بحماية الصناعات المحلية وذلك بكثرة استعمالهم للمنسوجات المصنوعة عندهم . وهذا الضرب من الوقاية ليس جديداً في بابه فقد سار عليه في سنة ١٨٨٠ الرجل الوطني العظيم مدحت باشا حاكم سوريا حينئذٍ . وبعده في سنة ١٩١٠ قام نور الدين بك والي بيروت بنفس العمل وقد كان يقضي نظامهم على الذكور والاناث من اهل البلاد بألا يرتدوا ملابس من قطن أو حرير إلا من صنع البلاد

(٨) صناعة المنسوجات القطنية

الاقمشة الحريرية السورية تكون غالباً مزدوجة أو مفتولة مع خيوط القطن فقيما سلف كان القطن يستجلب من نابلس وصيدا ومرسين ويغزل في معامل بيروت ودمشق اما اليوم فالقطن المغزول يرد من اوربا لان ثمنهُ البخس عمم استعمالهُ ليس فقط في المنسوجات الحريرية بل في المنسوجات القطنية الوطنية التي منها نوع يسمى « دبا » يصنع في كل الجهات تقريباً وخاصة لبنان في قرى بكفيا وبيت شباب والروق وبرحا وشحيم وهذا النوع ينسج في اكثر من ٦٠٠ نول والدبا تستعمل بكثرة في البلاد لاسيما في الداخلية كاقمشة للبس وتصدر بالمثل للبلاد الشرقية المجاورة لسوريا وقد قلّ المصنوع منها في ايامنا هذه لقلة الايدي العاملة ورخص اسعار المنسوجات القطنية الاجنبية

فلاجل ان نعيد الى صناعة الدبا يسرها الماضي علينا ان نعيد فتح مصانع غزل القطن القديمة التي تسببت في اقفالها المنافسة الاجنبية وعلينا ان نصلحها طبقاً للانظمة الحديثة ونمدها بالقطن المزروع في سهول انطاكية وحلب وصيدا ودمشق

وكانت قيمة المنسوجات الحريرية او القطنية المصنوعة في سوريا قبل الحرب تبلغ سنويًّا حول عشرين مليون فرنك

ادمون بشاره
المهندس

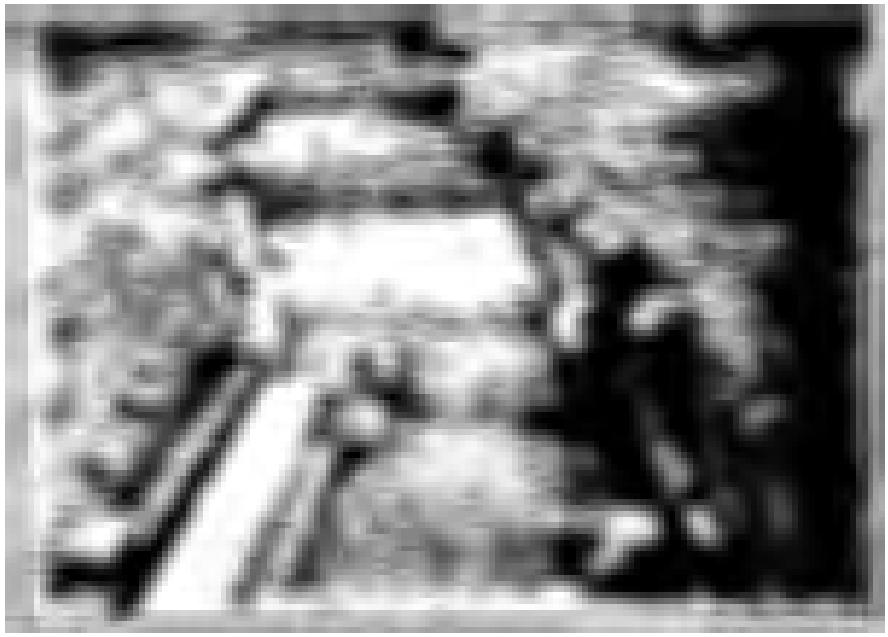

خرائب بيسان

الاكمة المطلة على خرائب بيسان

مقتطف ابريل ١٩٢٢

امام الصفحة ٣٦١